



الجدران العاربة

أرتشف القهوة للمرة الأولى
بعد محاولة مالحة في البيت الجديد
علية صغيرة تزاخمني فيها الشمس
فأترك لها نافذة سعيدة
لتدخل وتأخذ مكانها المعتاد
كقطعة البيت
لكثرة ما استبدلتها
تعلمت أن البيوت تشبه ساكنيها
البعض منها خارجه أجمل من داخله والعكس صحيح
بعضها غارق في ذاته تملؤه حكايات صامته
يحاول تعريف نفسه فيحدها بحكاية جديدة
يفقد ما كان يعنيه.. سابقاً
وأخرى تشبه الأمهات
يكفي أن تكون فيها لتحضنك...
وغيرها مزدحمة بالزيارات
والضحكات وفناجين القهوة
وتبادل الأخبار السريعة
تغصّ بالمناسبات ونبات الزينة
لها رائحة المذاقات الشعبية كأنها وطن
تصدح مواويل وعتابات
كلما حزنت سيده البيت



هناك بيوت متقشفة متشققة الجدران
لا يعينها ثراء المديح
وأشكال الأثاث ومساحات الغنى
أصغر من أن تملك حديقاً
قد تجد فيها ركناً صغيراً
تستريح فيه ذات ظهيرة
ونافذة بعيدة النظر
تتطلع إلى ما وراء الأفق
كثيرة الحر صيفاً وبوجعها برد الشتاء
تستقبل الجميع ولا يتقبلها أحد
ليست مشغولة بداخلها ولا خارجها
هي تدرك بأنّها الحياة
وبأنّها ذاتها من صنع أحجارها
وطينها
وأشجارها
لا فرق إن كانت أعلى المدينة
أو في غابة نائية
أو قرب بحيرة كبيرة
أو على حافة غيمة
جدران البيوت تتعدد
تتكاثر حولي
وأنا لا أكسر وحشتها
بلوحة عاشقين أو بحقل زهور



أو بنثر ألوان تضيء عنمتها
أحبها عاربة تماماً
بيضاء وعاربة
دوماً على أهبة الرحيل

في منتصف الطريق

تماماً في منتصفِ الطريقِ والعمرِ
في قطارِ مسافرِ بيني وبينِي
الأشجار تحترف بطريقتها الاختفاء
كما لقطات الصَّباحِ
أنا بطلة الأماكن الباردة ذات الوجوه الباهتة..
أتحدّثُ الألمانيةِ إلى موظِّفةِ مركزِ العملِ: "التأخيرُ له ضريبةٌ.. كان عليكِ الحضورُ أبكرَ"
الطبيبةُ تشرُحُ بإسهابٍ:
"الحلُّ الأفضلُ أن نجرِّبَ حلاً آخرى"
شاب أنيقٌ وُطْفَ حديثاً في "البنك"
يحاولُ عبثاً أن يبدو واثقاً كخبيرٍ
"سيتم إنجاز كل شيء على أكمل وجه"
صديقٌ يرافُقني طريقَ العودةِ إلى البيتِ:
"أحبُّ النساءَ اللواتي يعشقنَ التَّبوُّلَ في العراءِ.."
في البيتِ مع أبنائي..
"لو تستقلين القطارَ لتمنحي القلقَ إجازتهِ هذا العامَ"
صديقي الطبيبُ العجوزُ القديمُ قدَمَ الحداثةِ هنا
-"احذري سيدتي البداياتِ // الموتُ هنا ينتشرُ كالهواءِ //"



الآن في القطار...

في منتصف الطريق الى مكانين وزمينين..

امرأة كبرت بوخز الإبر..

فاتسعت رثاها أكثر للهواء

...

كي أنجو من ماضٍ يشرب دم الضحية ويسكر..

و غدٍ يساوم على ما بقي فيك حياً..

التصق بالآن أكثر...

طفولتي التي سمعت عواء الذئاب في العراق

تعي تماماً أن الأمان أكبر الخدع...

مثل ساحرٍ

يبتسم..

فينشطر وجهه إلى نصفين

يُخرج أجمل شرائط الحرير معقودةً

يربكنها الفعل منجزاً.. كعقدة

رغم وعينا للخدعة

إذ يظل ينقضنا الدليل..

وهل يستوي

"علينا أن نفعل شيئاً مختلفاً

تقولُ عاملةً تنظيف

"ما فائدهُ أن نكونَ مثلَ الجميع "



فترنّ براسي آيةً مشابهةً !
"قُلْ هلْ يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"
وأسألُ ماذا يحدثُ لو استوى الطرفان؟!
وفي معزوفةٍ أخرى تقولُ مغنيةٌ:
" أينما توجدُ المعرفةُ يوجدُ الطريقُ "

...

كلّ ما عليك أن تكوته
كائنٌ يتماهى مع الوجوه المطمئنة
يسمُعُ الجميعَ !
لا صوتَ له
سوى قلبه

...

يقولُ مُناصرٌ السلام:
"لا شيءٌ يستدعي الحربَ
إن كنا نخاف!!
هذا الكونُ يتسعُ للجميعِ،
والقتلُ ليس حلاً كلما قلَّ الأوكسجينُ في الهواء"

...

يقولُ أبي:
"بعضُ المشاكلِ تحتاجُ حلاً استثنائياً
من يأتي به
يكونُ البطلَ
فنحنُ



نحبُّ الأقوياء

ونصدقُ خُرافتنا في النصرِ

ونسبنا أنَّ القوةَ رهينةُ المجازفةِ

والمجازفةَ رهينةُ ظروفِها !

...

يقول التاريخُ

"قلبك وحدةٌ منذ البدء كان الرهينة !"

في داخلِكَ

"أنت" القويِّ

والبابُ والمفتاحُ

فاخرجُ !!

الكاتب: سوسن الغزالي